Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اتجاهان متصارعان

والمفارقة الجديرة بالتأمل أن العروة الوثقى، أو مدرسة الأفغاني –محمد عبده بصفة عامة، قد خرج من تحت مظلتها اتجاهان متصارعان هما: اتجاه المنار السلفي، والاتجاه النقيض الذي قاد معركة العلمنة. وهذه ازدواجية واشكالية أخرى في تكوين هذه المدرسة التوفيقية الوسطية. فكما وقعت ازدواجية منذ البداية بين نهجها السياسي ونهجها الحضاري، ظهرت مع مرور الزمن وتحت ضغط التناقضات والأحداث، ازدواجية أخرى بين شطرها الأصولي وشطرها التحرري، وهذا قانون عام في رأينا بالنسبة لمدارس الفكر التوفيقي التي تقارب بين نظامين فكريين مختلفين، فتنجح في ذلك لبعض الوقت عندما تكون الحاجة العامة للتوفيق والتقريب قائمة وممكنة التحقيق، ثم لا يلبث أن يتباعد العنصران المختلفان في صيغتها التوفيقية، ويتحول التوتر المضمر بينهما في تلك الصيغة إلى صراع مكشوف. وذلك ما حدث من قبل التوفيقية المعتزلة بين الإيمان والعقل عندما انشطرت إلى ملاحدة واشاعرة، خرجوا جميعا من تحت مظلتها الائتلافية المشتركة بعد أن اصبحت دوافع المجابهة والصراع والانشطار أقوى من دواعي التقارب والتصالح والتآلف.

وإذا كان تيار المنار قد اصطدم بتيار العلمنة في جيل، فإن تيار الإخوان قد اصطدم بتيار الناصرية في جيل لاحق، رغم انتماء الجانبين أيضاً إلى فكر محمد عبده في إطاره العام، وتلك ظاهرة نتوقع أن تتكرر في الحياة العربية، ما دامت تسودها الأيديولوجية التوفيقية بقانونها المذكور وبنزعتها القابلة في شطر منها للعودة إلى المحافظة الشديدة، كما جاء فكر رشيد رضا أكثر محافظة من محمد عبده وجاء البنا أشد تصلبا من رشيد رضا... وهكذا.

تعود أخيراً، إلى ظاهرة المجلة الثقافية في النهضة العربية لنستنتج مما تقدم، كيف أن مجلة العروة الوثقى لم تكن مظهراً للنشاط الثقافي فحسب، بل كانت بالدرجة الأولى وعاء لحركات فكرية واجتماعية، ومنبراً لدعوات جديدة، وحاضنة لتيارات فعالة في التاريخ العربي الحديث. وانها قبل عصر الصحافة اليومية والاذاعة